

مَاذَا أَعَدَدْتَ لِلْمَوْتِ؟!!

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ

صَلَاةُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ تَغَانِي

رَحِمَهُ اللَّهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ
شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،
وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ
ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ
ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:



كُلُّ شَيْءٍ لَهُ صُورَةٌ وَحَقِيقَةٌ



فَمَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ إِلَّا وَلَهُ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ، وَلَهُ
صُورَةٌ وَحَقِيقَةٌ، وَلَهُ عَرَضٌ وَجَوْهَرٌ، وَلَهُ حَالٌ وَمَالٌ، مَا مِنْ
شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ صُورَةً ظَاهِرَةً
وَحَقِيقَةً بَاطِنَةً، وَجَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُ حَالًا حَالِيًّا،
وَمَا لَا أَجَلِيًّا، وَجَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُ عَرَضًا يَعْزُضُ
ثُمَّ يَزُولُ، وَجَوْهَرًا لَا يَزُولُ وَلَا يَتَغَيَّرُ.





أَقْسَامُ النَّاسِ فِي النَّظَرِ إِلَى الْأَشْيَاءِ



وَالنَّاسُ فِي النَّظَرِ إِلَى الْأَشْيَاءِ قِسْمَانِ:

- قِسْمٌ يَنْظُرُ إِلَى الْأَشْيَاءِ بِعَيْنِ بَصَرِهِ.
- وَقِسْمٌ يَنْظُرُ إِلَى الْأَشْيَاءِ بِعَيْنِ بَصِيرَتِهِ.

فَأَمَّا الَّذِي يَنْظُرُ إِلَى الْأَشْيَاءِ بِعَيْنِ بَصَرِهِ فَلَا يَرَى
الْأَشْيَاءَ إِلَّا ظَاهِرًا لَا حَقَائِقَ خَلْفَهُ، لَا يَرَى الْأَشْيَاءَ إِلَّا
أَعْرَاضًا لَا جَوَاهِرَ تَحْتَهَا، لَا يَرَى الْأَشْيَاءَ إِلَّا أَحْوَالًا لَا
مَالَ بَعْدَهَا، وَهُؤْلَاءِ يُسَمِّيهِمْ عُلَمَاؤُنَا ﷺ عُمَيَّانَ
الْبَصَائِرِ، هُؤْلَاءِ الَّذِينَ لَا يَرَوْنَ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ، وَلَا يَرَوْنَ
جَوَاهِرَ الْأَشْيَاءِ، وَلَا يَرَوْنَ مَالَ الْأَشْيَاءِ.

وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي: فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْبَصِيرَةِ
الَّذِينَ يَرَوْنَ الْأَشْيَاءَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَيَرَوْنَ الْأَشْيَاءَ
أَعْرَاضًا وَجَوَاهِرَ، وَيَرَوْنَ الْأَشْيَاءَ حَالًا وَمَالًا، وَيَرَوْنَ
الْأَشْيَاءَ صُورَةً وَحَقِيقَةً.

فَيَا عَبْدَ اللَّهِ! أَيْنَ أَنْتَ مِنْ هَؤُلَاءِ؟!

وَالْفَرْقُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كَالْفَرْقِ بَيْنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ، لَا؛ بَلْ كَالْفَرْقِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ؛ فَأَصْحَابُ
الْأَبْصَارِ الَّذِينَ يَرَوْنَ الْأَشْيَاءَ بِأَعْيُنِهِمُ الْمَجْرَدَةَ... هَؤُلَاءِ
هُمْ وَقُودُ النَّارِ - وَبِئْسَ الْقَرَارُ -، ذَكَرَهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
فَقَالَ: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ
أُذُنَانِ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ

[الأعراف: ١٧٩].

هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَابَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِمْ حِينَ
يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُمْيَانًا، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ
ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَعْمَى﴾ (١٢٥) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٦﴾ قَالَ
كَذَلِكَ أَنتَ أَنتَ مَا يَنْتَظِرُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٢٧﴾ ﴿طه: ١٢٤-١٢٦﴾.

هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَمِيَتْ بَصِيرَتُهُمْ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَقَدْ عَمِيَتْ أَبْصَارُهُمْ؛ لِأَنَّهَا ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ
تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (١٦) ﴿الحج: ٤٦﴾.

فَيَا عَبْدَ اللَّهِ! يَنْبَغِي عَلَيْكَ أَنْ تَأْخُذَ بِأَسْبَابِ
الْوُصُولِ إِلَى الْبَصِيرَةِ؛ لِأَنَّ الْبَصِيرَةَ هِيَ الْعِلْمُ النَّافِعُ،
وَالرَّأْيُ الصَّائِبُ، فَمَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ، وَمَنْ لَا رَأْيَ عِنْدَهُ
فَإِنَّمَا هُوَ أَعْمَى، كَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَأَمِنْ يَوْمَ أَنْزِلَ إِلَيْكَ

مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أَوَّلُوا الْأَبْصَارِ ﴿١٩﴾

[الرعد: ١٩].



نِعْمَةُ الْحَيَاةِ

وَإِذَا كَانَ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ؛ فَالْمَقَامُ الْيَوْمَ مَقَامٌ مَعَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ.

الْحَيَاةُ الْإِنْسَانِيَّةُ الَّتِي يَحْيَاهَا الْإِنْسَانُ؛ هَلْ هِيَ دَارٌ لَهُوَ وَاغْتِرَارٌ، أَمْ دَارُ اخْتِبَارٍ وَاعْتِبَارٍ !!؟

إِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ مَا خَلَقَ الْإِنْسَانَ لِيَأْكُلَ مَعَ الْآكِلِينَ، وَلَا لِيَشْرَبَ مَعَ الشَّارِبِينَ، وَلَا لِيلْهُوَ مَعَ اللَّاهِيْنَ، وَلَا لِيَجْمَعَ حُطَامَ الدُّنْيَا مَعَ الْجَامِعِينَ، وَإِنَّمَا خَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ لِيَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

هَذِهِ الْحَيَاةُ الَّتِي وَهَبَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِيَّاهَا نِعْمَةً مِنْ أَجْلِ التَّعَمُّ، وَمِنَّةً مِنْ أَعْظَمِ الْمِنَّةِ، لَا يَعْرِفُ

قَدَرَهَا إِلَّا الْمَوْتَى حِينَ يَمُوتُونَ؛ فَإِنَّ الْمَيِّتَ الَّذِي مَاتَ هُوَ
 الْوَحِيدُ الَّذِي يَعْرِفُ قَدَرَ الْحَيَاةِ حِينَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ،
 فَإِنْ كَانَ كَافِرًا ﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ ﴾ ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا
 تَرَكْتُ ﴿ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠] ، فَيَكُونُ الْجَوَابُ:
 ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ
 ﴾ ﴿١٠٠﴾ [المؤمنون: ١٠٠] ، وَإِنْ كَانَ الْمَيِّتُ مُؤْمِنًا
 ﴿ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ
 الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴿
 [المنافقون: ١٠-١١].





حَقِيقَةُ الدُّنْيَا



فَيَا عَبْدَ اللَّهِ! لَا بُدَّ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ حَقِيقَةَ الْحَيَاةِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَغْتَنِمَ هَذِهِ الْفُرْصَةَ، وَلَا بُدَّ أَنْ تَعْلَمَ مَنْ أَنْتَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ؛ حَتَّى لَا تَعُرَّتَكَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا!

فَأَمَّا حَقِيقَةُ الْحَيَاةِ الَّتِي نَحْيَاهَا فَقَدْ مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِالسُّوقِ، دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالتَّاسُ كَنَفَتْهُ -أَيُّ: وَالتَّاسُ حَوْلَهُ-، فَمَرَّ بِجَدِّي أَسْكَ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدْرُهُمْ؟».

فَقَالُوا: «مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟!!».

قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟».

قَالُوا: «وَاللَّهِ! لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ؛ لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟».

فَقَالَ: «فَوَاللَّهِ! لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»^(١).

هَذِهِ حَقِيقَةُ الدُّنْيَا، الدُّنْيَا لَا تُسَاوِي عِنْدَ اللَّهِ - وَهُوَ خَالِقُهَا وَمَالِكُهَا، وَهُوَ بَارِئُهَا وَقَاطِرُهَا، وَهُوَ مَالِكُ ذَهَبِهَا وَفِضَّتِهَا- لَا تُسَاوِي عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَلَوْ كَانَتْ تُسَاوِي عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا فِيهَا شَرْبَةَ مَاءٍ.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٥٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

فَيَا مَنْ لَا تَمْلِكُ فِي الْحَيَاةِ شَيْئًا، وَلَا تَقْدِرُ فِي الْحَيَاةِ
عَلَى شَيْءٍ؛ لِمَ يَتَعَلَّقَ قَلْبُكَ بِالْحَيَاةِ وَهِيَ الَّتِي لَا تُسَاوِي
عِنْدَ اللَّهِ شَيْئًا !!؟

وَكَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رحمه الله: «الدُّنْيَا دَارٌ مَن لَا
دَارَ لَهُ، وَمَالٌ مَن لَا مَالَ لَهُ، وَإِلَيْهَا يَرْكَنُ مَن لَا عَقْلَ لَهُ،
وَلَهَا يَجْمَعُ مَن لَا عِلْمَ لَهُ، إِذَا حَلَّتْ أَوْحَلَتْ، وَإِذَا كَسَتْ
أَوْكَسَتْ، حَلَالُهَا حِسَابٌ، وَحَرَامُهَا عِقَابٌ، أَجْلُهَا
قَصِيرٌ، وَمَتَاعُهَا حَقِيرٌ، وَحِسَابُهَا عَسِيرٌ».

هَذِهِ حَقِيقَةُ الدُّنْيَا الَّتِي تَحْيَوْنَهَا -عِبَادَ اللَّهِ-، هَذِهِ
هِيَ حَقِيقَةُ الْحَيَاةِ، عُرِضَتْ عَلَى نَبِيِّكُمْ صلوات الله عليه بِمَفَاتِيحِهَا،
يُخْزَأُ فِيهَا، يَذْهَبُهَا وَفَضَّتْهَا، وَلَا يُنْقِصُ ذَلِكَ مِمَّا لِرَسُولِ
اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ شَيْئًا، فَأَعْرَضَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه عَنْهَا.

الحَيَاةُ - عِبَادَ اللَّهِ - دَارُ عَمَلٍ وَاجْتِهَادٍ، لَا دَارُ لَهْوٍ
وَلَعِبٍ.

الحَيَاةُ - عِبَادَ اللَّهِ - دَارُ تَكْلِيفٍ وَعَمَلٍ، لَا دَارُ
تَسْوِيفٍ وَأَمَلٍ.

الحَيَاةُ - عِبَادَ اللَّهِ - دَارُ جَمْعِ حَسَنَاتٍ وَدَرَجَاتٍ، لَا
دَارُ جَمْعِ ثُرُوتٍ وَعَقَارَاتٍ.

يَمُرُّ النَّبِيُّ ﷺ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو رضي الله عنه - وَكَانَ
يُصْلِحُ خُصًّا - وَالْحُصُّ: هُوَ ذَلِكَ الَّذِي يَكُنُّ الْمَرْءُ مِنْ حَرِّ
الصَّيْفِ، وَهُوَ مِنَ الْجَرِيدِ أَوْ مِنْ عَسَفِ التَّخِيلِ -، فَكَانَ

يُصْلِحُهُ-، فَمَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «مَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا
أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ»^(٢).

وَصَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

أَيُّنَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو !!؟

وَأَيُّنَ أُمُّهُ !!؟

وَأَيُّنَ رَسُولُ اللَّهِ !!؟

وَأَيُّنَ الصَّحَابَةُ !!؟

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢٣٦) واللفظ له، والترمذي (٢٣٣٥)، وابن

ماجه (٤١٦٠)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٥٢٣٦).

مَاتُوا جَمِيعًا، وَمَرَّتْ بِهِمُ الْحَيَاةُ، وَكَمَا مَرَّتْ بِهِمْ
فَسَتَمُرُّ بِنَا، وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَثَارِ: «أَنَّ نُوحًا   مَرَّ
عَلَى امْرَأَةٍ تَبْكِي عَلَى وَلَدِهَا، فَقَالَ لَهَا: اصْبِرِي أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ.

فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! مَاتَ شَابًّا فِي رِيْعَانِ شَبَابِهِ.

فَقَالَ: كَمْ عُمُرُهُ؟

قَالَتْ: مِائَةٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً.

فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! تَبْكِينَ عَلَى وَلَدِكَ وَقَدْ عَاشَ
هَذَا الْعُمُرَ، وَإِنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ يَمُوتُ الرَّجُلُ فِيهَا ابْنُ سِتِّينَ
أَوْ سَبْعِينَ سَنَةً!!

فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ! وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ
لَجَلَسْتُ عَلَى قَبْرِ أَبِي أَنْتَظِرُ الْمَوْتَ».

فَيَا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ بِدُنْيَاكَ! دُنْيَاكَ هَذِهِ حَقِيرَةٌ،
دُنْيَاكَ هَذِهِ صَغِيرَةٌ، دُنْيَاكَ هَذِهِ قَصِيرَةٌ!

فَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَتَّعِظَ، وَكَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظًا، عَلَى
الْمَرْءِ أَنْ يَنْتَبِهَ، وَكَفَى بِالْمَوْتِ مُنَبِّهًا.





مُصِيبَةُ الْمَوْتِ وَحَالُ الْمَيِّتِ عِنْدَ مَوْتِهِ



نَبِّئُكُمْ ﷺ يُبَيِّنُ حَالَ الْمَيِّتِ عِنْدَ مَوْتِهِ، فَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ أَنَّ الْمَوْتَ رَاحَةٌ الْأَبَدِ، وَالْمَوْتُ لَيْسَ بِرَاحَةٍ^(٣)، وَلَكِنَّهُ أَمْرٌ شَدِيدٌ، وَكَفَى بِالْمَوْتِ أَنْ يُسَمِّيَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُصِيبَةً، فَأَعْظَمُ الْمَصَائِبِ تَنْزِيلُ عَلَى ابْنِ آدَمَ هُوَ أَنْ يَمُوتَ، أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ تَنْزِيلُ عَلَى ابْنِ آدَمَ هِيَ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ؛ لِأَنَّهَا تُخْرِجُهُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَى الْحِسَابِ، تُخْرِجُهُ مِنَ الْأَمَلِ إِلَى النَّهَايَةِ، تُخْرِجُهُ مِنْ سَعَةِ اللَّهِ وَمَغْفِرَتِهِ إِلَى حِسَابِهِ وَعِقَابِهِ.

(٣) الموت ليس براحة في كل حال.

تَمُرُّ جَنَازَةٌ عَلَى النَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ، فَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ:
«مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ».

قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا الْمُسْتَرِيحُ وَمَا الْمُسْتَرَاخُ مِنْهُ؟».

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ، وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ، وَالْدَّوَابُّ»^(٤).

عَبَدَ اللَّهُ! اَعْلَمْ أَنَّ الْمَيِّتَ إِذَا مَاتَ فَكَانَ مُؤْمِنًا تَبْكِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْأَشْجَارُ، وَالْجِبَالُ، وَالْبِحَارُ، وَالْأَحْجَارُ، وَالْدَّوَابُّ؛ تَبْكِيهِ لِفَقْدِ عَمَلِهِ الصَّالِحِ، لِفَقْدِ

(٤) أخرجه البخاري (٦٥١٢) من حديث أبي قتادة الحارث بن ربعي

صَلَاتِهِ، لِفَقْدِ زَكَاتِهِ، لِفَقْدِ حَجِّهِ، لِفَقْدِ صَدَقَتِهِ، لِفَقْدِ بِرِّهِ
 بِوَالِدَيْهِ، لِفَقْدِ إِحْسَانِهِ لِجِيرَانِهِ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الصَّلَاحِ وَأَهْلَ
 الْإِيمَانِ تُرْفَعُ أَعْمَالُهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَإِذَا مَا رُفِعَتْ مِنْ قَبْلِ
 بَعْضِ الْمَلَائِكَةِ قَالُوا: لِمَنْ هَذِهِ الْأَعْمَالُ؟

فَيَقُولُونَ: أَعْمَالُ فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ، فَيُعْرَفُ فِي
 السَّمَاءِ بِذِكْرِهِ، وَيُعْرَفُ فِي الْأَرْضِ بِعَمَلِهِ، فَيَشْهَدُ لَهُ أَهْلُ
 السَّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا تَشْهَدُ لَهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فَيَا عَبْدَ اللَّهِ! مَنْ أَنْتَ مِنَ الرَّجُلَيْنِ؟!

أَسْتَكُونُ مُسْتَرِيحًا أَوْ تَكُونُ مُسْتَرَاحًا مِنْكَ؟!

أَتَكُونُ مِنَ الْفَائِزِينَ مِنَ الْمُبَشِّرِينَ بِجَنَّاتِ
 التَّعِيمِ، أَمْ تَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ يُبَشِّرُونَ بِالْعَذَابِ
 الْأَلِيمِ؟!

فَإِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ فَكَانَ مُؤْمِنًا، كَانَ لِلَّهِ تَقِيًّا، كَانَ بِوَالِدَيْهِ بَارًّا، كَانَ لِجِيرَانِهِ مُحْسِنًا؛ «نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةُ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَانَتْ وُجُوهُهُمْ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ ﴿١٩٨﴾ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَتَيْتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ! اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطِيبٍ نَفْحَةٍ مِسْكٍ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.

قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ -يَعْنِي: بِهَا- عَلَى مَلَاٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟

فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يَنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ.

فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ - ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ ﴿١٩﴾ كَتَبْتُ مَرْفُوعٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُ الْمَرْفُوعُونَ ﴿٢١﴾ [المطففين: ١٩-٢١]، فَإِذَا مَا رَأَى الْمَرْءُ مَكَانَهُ فِي جَنَاتِ التَّعِيمِ أَرَادَ الْمُكْتَبَ، وَلَمْ يُرِدِ النَّزُولَ-، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ؛ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أَخْرَجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى.

قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجَلِّسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ

لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ
 اللَّهِ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ
 صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ،
 وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا،
 وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّةَ بَصَرِهِ.

قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ،
 طَيِّبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي
 كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ

بِالْخَيْرِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ
السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي»^(٥).

«إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ يَسْمَعُ خَفَقَ نَعَالِهِمْ
حِينَ يُؤَلَّوْنَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ
رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ،
وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ
وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ،
فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قَبِلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ،
فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قَبِلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ،
فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قَبِلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ،
فَيَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ،

(٥) أخرجه أبو داود (٤٧٥٣) واللفظ له، والنسائي (٢٠٠١)، وابن

ماجه (١٥٤٩) مختصراً، وأحمد (١٨٥٥٧)، وصححه الألباني في

«صحيح سنن أبي داود» (٤٧٥٣) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ: مَا قَبِيلِي مَدْخُلٌ، فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ،
فَيَجْلِسُ ...»^(٦).

أَتَتُنُّ -عَبْدَ اللَّهِ- أَنَّ هَذَا الْمُؤْمِنَ الَّذِي هَذَا هُوَ
مَثْوَاهُ وَمَأْوَاهُ؛ أَتَتُنُّ أَنَّهُ بَلَغَ ذَلِكَ بِاللَّعِبِ وَاللَّهْوِ!!؟

أَتَتُنُّ أَنَّهُ بَلَغَ ذَلِكَ بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ!!؟

أَتَتُنُّ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ ذَلِكَ بِجَمْعِ الْأَمْوَالِ وَالْإِنْشِغَالِ

بِهَا!!؟

(٦) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣ / ١٠٥ - ١٠٧)،

والحاكم في «المستدرک» (١ / ٣٧٩ - ٣٨١)، وصححه الحاكم على

شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

لَا وَاللَّهِ؛ أُولَئِكَ أَقْوَامٌ بَاعُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ، ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ
وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

أُولَئِكَ أَقْوَامٌ لَمْ يُرِيدُوا فِي الْأَرْضِ عُلُوًّا وَلَا فَسَادًا،
كَمَا قَالَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا
لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْقِذِينَ
﴾ [القصص: ٨٣].

أَمَّا مَنْ عَاشَ الْحَيَاةَ لَا يَرَى إِلَّا زِينَةَ الْحَيَاةِ، لَا يَرَى
إِلَّا الْمَالَ وَالْوِلْدَانَ، لَا يَرَى إِلَّا الْجَاهَ وَالسُّلْطَانَ، لَا يَرَى
إِلَّا النِّسَاءَ وَالتَّبَهَارِجَ؛ أَمَّا هَذَا فَانْظُرْ إِلَى حَالِهِ حِينَ يَلْقَى
رَبَّهُ وَمَوْلَاهُ؛ «نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سَوْدُ الْوُجُوهِ،
مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ
الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتَها النَّفْسُ

الْحَبِيثَةُ! اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ، قَالَ: فَتَفَرَّقَ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّقُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْحَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ، بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ.

ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَا تُفْتَحُ لَكُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾
[الأعراف: ٤٠].

هَؤُلَاءِ لَا يُرْفَعُونَ، لَا تَقْبَلُهُمُ السَّمَاءُ؛ لِأَنَّ السَّمَاءَ
 فِيهَا مَلَائِكَةُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِينَ ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ
 مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]، السَّمَاءُ
 تُرْفَعُ فِيهَا الْأَعْمَالُ الصَّالِحَاتُ، السَّمَاءُ تُرْفَعُ فِيهَا الْأَقْوَالُ
 الْفَاضِلَاتُ، السَّمَاءُ تُرْفَعُ فِيهَا الْأَخْلَاقُ الْفَاضِلَاتُ، وَأَمَّا
 هَؤُلَاءِ فَأَقْوَالُهُمْ كَانَتْ خَبِيثَةً، وَنُفُوسُهُمْ كَانَتْ خَبِيثَةً،
 وَأَحْلَامُهُمْ كَانَتْ خَسِيسَةً، وَرَغَبَاتُهُمْ كَانَتْ دَنِيئَةً، مَا
 كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَ الْمُصَلِّينَ، وَلَا يَصُومُونَ عَلَى وَجْهِ مَرْضَاةٍ
 اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا يُزَكُّونَ مَعَ الْمُزَكِّينَ، وَلَا يَحْجُونَ
 مَعَ الْحَاجِّينَ، وَلَا يَعْضُونَ أَبْصَارَهُمْ مَعَ الْعَاصِينَ، وَلَا
 يَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ مَعَ الْحَافِظِينَ، وَلَا يَتَوَاضَعُونَ مَعَ
 الْمُتَوَاضِعِينَ، إِنَّمَا كَانُوا مَعَ الْمُتَكَبِّرِينَ، كَانُوا مَعَ
 الْمُتَجَبِّرِينَ، تَكَبَّرُوا بِأَمْوَالِهِمْ، تَكَبَّرُوا بِجَاهِهِمْ
 وَسُلْطَانِهِمْ، تَكَبَّرُوا بِوِطَائِفِهِمْ وَرِيَاسَتِهِمْ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ أَهْؤُلَاءِ إِلَى السَّمَاءِ يُرْفَعُونَ؟!! أَهْؤُلَاءِ بَيْنَ

مَلَائِكَةِ اللَّهِ يُذَكِّرُونَ؟!! أَهْوَلَاءٍ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ
يَسْكُنُونَ؟!!

لَا وَاللَّهِ، إِنَّ رَبَّكُمْ عَدْلٌ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا، وَالْجَزَاءُ
مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿٦﴾ فَهُوَ
فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿٨﴾
﴿فَأُمُّهُ مَكَوِيَةٍ﴾ ﴿٩﴾ [القارعة: ٦-٩].

تُغْلَقُ أَمَامَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَلَا يَدْخُلُونَ، انْظُرْ
إِلَى الْحِزْيِ وَالذُّلِّ وَالْعَارِ وَالشَّتَارِ، يُقَيِّضُ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ لَهُمْ مَلَكًا مَعَهُ مِرْزَبَةٌ عَظِيمَةٌ، لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ
لَأَنْدَكَ، فَتُضْرَبُ هَذِهِ الرُّوحُ، فَإِذَا مَا ضُرِبَتْ نَزَلَتْ إِلَى
الْأَرْضِ، وَغَاصَتْ فِي الْقَبْرِ، وَوَافَقَ ذَلِكَ دُخُولُ الْجَسَدِ
فِيهِ.

«فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينٍ فِي
الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ
يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي
بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيحٍ﴾ [الحج: ٣١].

فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ،
فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي،
فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي،
فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ:
هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي.

فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ؛ فَافْرِشُوا لَهُ مِنْ
النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا
وَسُمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ،
وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ،

فَيَقُولُ: أَبَشِّرُ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ
تُوَعِّدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهَ يَجِيءُ بِالشَّرِّ،
فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْحَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ
السَّاعَةَ»^(٧).

يَقُولُ ﷺ: «وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا
كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ
مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ

(٧) أخرجه أبو داود (٤٧٥٣) واللفظ له، والنسائي (٢٠٠١)، وابن
ماجه (١٥٤٩) مختصرًا، وأحمد (١٨٥٥٧)، وصححه الألباني في
«صحيح سنن أبي داود» (٤٧٥٣) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

بِمَطَارِقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ
يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ»^(٨).



(٨) أخرجه البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠) من حديث أنس بن



عَبْدَ اللَّهِ! هَذِهِ حَقِيقَةُ الْحَيَاةِ، وَهَذِهِ حَقِيقَةُ الْمَوْتِ؛
فَمَا أَنْتَ صَانِعٌ!!؟

أَتَعْرُكَ الْحَيَاةُ بِغُرُورِهَا، وَتَفْتِنُكَ الْحَيَاةُ بِفِتْنِهَا!!؟

هَذَا الْمَالُ الَّذِي يَشْغُلُكَ مَا الَّذِي تُحْصِلُ مِنْهُ!!؟

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَا لِي مَالِي، وَهَلْ
لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتُ فَأَقْنَيْتَ، وَلَبِستَ
فَأَبْلَيْتَ، وَتَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ»^(٩).

وَأَمَّا وَلَدُكَ فَوَلَدُكَ مَعَكَ فِي حَيَاتِكَ، وَعِنْدَ مَوْتِكَ
لَا تَنْتَفِعُ مِنْهُ إِلَّا إِذَا كَانَ صَالِحًا «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ
عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ؛ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ
وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(١٠).

«إِنَّ الرَّجُلَ لَتَرْفَعَ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟
فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ»^(١١).

«مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَتَعَلَّمَهُ وَعَمِلَ بِهِ؛ أُلْبِسَ وَالِدَاهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَاجًا مِنْ نُورٍ، ضَوْؤُهُ مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ،

(١٠) أخرجه ابن ماجه (٣٦٦٠)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن

ماجه» (٣/ ٢١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١١) أخرجه مسلم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا تَقُومُ لَهُمَا الدُّنْيَا، فَيَقُولَانِ: بِمَ
كُسِينَا هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنِ»^(١٢).

يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى مَكَانِهِ فِي
الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! مَا بَعَمَلِي أَصِلُ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ، مَا
بِعَمَلِي أَصِلُ إِلَى تِلْكَ الْمَكَانَةِ.

فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: إِنَّمَا بَلَغْتَ هَذِهِ الْمَكَانَةَ بِاسْتِغْفَارٍ
وَلَدِكَ الصَّالِحِ لَكَ.

يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَبْلُغُ وَلَدُهُ مَا يَبْلُغُ مِنْ
الْمَنَازِلِ الْعَظِيمَةِ، فَيَرَى أَثَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَيُكْسَى حُلَّةَ

(١٢) رواه الحاكم (١ / ٧٥٦)، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة»

الْكَرَامَةِ، وَيُجْعَلُ عَلَى رَأْسِهِ تاجُ الْمُلْكِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! بِمِ
أُعْطِيتُ هَذَا؟

فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: بِحِمْلِ وَلَدِكَ الْقُرْآنَ.

أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ! بُرُّوا آبَاءَكُمْ بِصَلَاحِ أَعْمَالِكُمْ!

بُرُّوا آبَاءَكُمْ بِحِرْصِكُمْ عَلَى دِينِكُمْ!

بُرُّوا آبَاءَكُمْ بِاتِّبَاعِكُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ!

إِنَّ الْوَلَدَ الَّذِي لَا حَظَّ لَهُ مِنْ دِينٍ وَعِلْمٍ وَعَمَلٍ؛
هَذَا عَاقٍ لِأَبِيهِ!

إِنَّ الْوَلَدَ مَهْمَا بَلَغَ مِنَ الدَّرَجَاتِ الْمَادِّيَّةِ، يَكُونُ
مَا شَاءَ؛ طَبِيبًا، أَوْ مُهَنْدِسًا، مُحَاسِبًا، أَوْ مُدَرِّسًا، مُقَاتِلًا أَوْ
مُدَافِعًا؛ مَهْمَا بَلَغَ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ أَبَاهُ إِلَّا بِصَلَاحِهِ، إِلَّا

بِتَقْوَاهُ، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ
ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١].

فَاللَّهُمَّ اهْدِ شَبَابَنَا، وَرُدَّهُمْ إِلَى دِينِكَ رَدًّا جَمِيلًا،
وَارْحَمْ مَوْتَانَا وَاعْفِرْ لَهُمْ.



ذِكْرُ الْمَوْتِ مِنْ أَرْكَانِ الْحَيَاءِ

فَإِنَّ «الْإِيمَانَ بِضَعٍّ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» (١٣).

قَالَ عَلَمَاؤُنَا رحمهم الله: شُعْبُ الْإِيمَانِ كَثِيرَةٌ، لَهَا أَكْبَرُ، وَلَهَا مَا دُونَ ذَلِكَ.

فَبَدَأَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَعْظَمِ شُعْبِ الْإِيمَانِ، وَانْتَهَى إِلَى آخِرِهَا، ثُمَّ ذَكَرَ الْحَيَاءَ؛ فَلِمَاذَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ الْحَيَاءَ؟

(١٣) أخرجه مسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قَالَ عُلَمَاؤُنَا ﷺ: لِأَنَّ الْحَيَاءَ قَرِينُ الْإِيمَانِ،
وَالْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ قَرِينَانِ، فَمَنْ فَقَدَ الْحَيَاءَ فَقَدَ الْإِيمَانَ.

قَالَ عُلَمَاؤُنَا: وَالتَّاسُ لَا يَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الْحَيَاءِ،
فَيُظَنُّونَ أَنَّ الَّذِي يُخْجَلُ عِنْدَ الْكَلَامِ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ الْحَيَاءَ
الَّذِي مَدَحَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَهَذَا لَيْسَ بِحَقٍّ، وَلَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ،
بَلْ نَبِيُّكُمْ ﷺ يَقِفُ أَمَامَ الصَّحَابَةِ ﷺ فَيَأْمُرُهُمْ
بِالْحَيَاءِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ».

قُلْنَا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّا لَنَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ».

قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الْإِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ
الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا
حَوَى، وَلَتَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبَلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ

الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا -يَعْنِي: مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ-»^(١٤).

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَذِكْرَ الْبَلَى هُوَ مِنْ أَرْكَانِ الْحَيَاءِ، وَالَّذِي لَا يُفَكِّرُ فِي الْمَوْتِ، وَلَا يُعِدُّ لَهُ عُدَّتَهُ هَذَا لَا يَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ؛ لِأَنَّهُ مَا مِنْ حَيٍّ إِلَّا وَهُوَ مَيِّتٌ، وَمَا مِنْ شَاهِدٍ إِلَّا وَغَدًا يَكُونُ مِنَ الْعَائِبِينَ.

وَكَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرِ بَكَى حَتَّى يُبَلَّ لِحِيَّتُهُ، فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فَلَا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ

(١٤) أخرجه الترمذي (٢٤٥٨) واللفظ له، وأحمد (٣٦٧١)، وحسنه

الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٤٥٨) من حديث عبد الله بن

مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ،
وَأِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ»^(١٥).



(١٥) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٤٢٦٧)، وحسنه الألباني في «صحيح

سنن ابن ماجه» (٣٤٦١) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.



أُصْلِحُوا قُبُورَكُمْ كَمَا تُصْلِحُونَ دُورَكُمْ!



فَيَا عِبَادَ اللَّهِ! كَمَا تُصْلِحُونَ دُورَكُمْ فَأُصْلِحُوا قُبُورَكُمْ،
وَكَمَا تَبْنُونَ فِي دُنْيَاكُمْ قُصُورَكُمْ فَأَبْنُوا فِي أُخْرَاكُمْ قُصُورَكُمْ،
وَكَمَا تَحْرِصُونَ عَلَى التَّلَذُّذِ بِزُوجَاتِكُمْ وَالتَّمَتُّعِ بِأَبْنَائِكُمْ
فَعَلَيْكُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا مُهُورَ أَزْوَاجِكُمْ فِي جَنَّاتِ رَبِّكُمْ، وَأَنْ
تَحْظُوا بِالْوُلَدَانِ الْمُخَلَّدِينَ الَّذِينَ لَا يَهْرُمُونَ وَلَا يَبْأُسُونَ.

فَاللَّهُمَّ اجْعَلْنَا عَلَى ذَلِكَ حَرِيصِينَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا عَلَى الدَّارِ
الْآخِرَةِ وَجَنَّةِ النَّعِيمِ حَرِيصِينَ، وَلَا تَجْعَلْنَا عَنْ آخِرَتِنَا غَافِلِينَ،
اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأُصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا
الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأُصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادُنَا.

اللَّهُمَّ ارْحَمْ مَوْتَانَا وَمَوْتَى الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ
 لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ؛ إِنَّكَ سَمِيعٌ
 قَرِيبٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.





- ١..... مَاذَا أَعَدَدْتَ لِلْمَوْتِ؟!!
- ٣..... مُقَدِّمَةٌ
- ٤..... كُلُّ شَيْءٍ لَهُ صُورَةٌ وَحَقِيقَةٌ
- ٥..... أَقْسَامُ النَّاسِ فِي النَّظَرِ إِلَى الْأَشْيَاءِ
- ٩..... نِعْمَةُ الْحَيَاةِ
- ١١..... حَقِيقَةُ الدُّنْيَا
- ١٨..... مُصِيبَةُ الْمَوْتِ وَحَالُ الْمَيِّتِ عِنْدَ مَوْتِهِ
- ٣٣..... حَقِيقَةُ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ
- ٣٨..... ذِكْرُ الْمَوْتِ مِنْ أَرْكَانِ الْحَيَاءِ
- ٤٢..... أَصْلِحُوا قُبُورَكُمْ كَمَا تُصْلِحُونَ دُورَكُمْ!
- ٤٥..... الْفَهْرُسُ

